دراسة في صيغة «فِعِّيل»

كشريب وسكير

للدكتور ابراهيم أنيس (١)

أثيرت قضية القياس اللغوي في بحوث المجمع من قبل ، واختلفت وجهات النظر بصدد هذا القياس ومدى الاستفادة منه في تنمية صيغ اللغة وألفاظها .

وحين نتساءل عن معنى القياس اللغوي لدى القدماء من علماء العربية نجد أن المتقدمين منهم في القرنين الأول والثاني من الهجرة لا يكادون يعنون بالقياس اللغوي سوى استنباط قاعدة عامة تخضع لها النصوص المروية عن العرب . فقول ابن سلام في مقدمة كتابه طبقات الشعراء ان أبا الأسود الدؤلي كان أول من وضع قياس العربية لا يعني أكثر من أن أبا الأسود بدأ استنباط بعض القواعد العامة للنصوص المروية عن العرب . ويبدو كذلك أن هذا هو معنى القياس لدى سيبويه حين يشير الى ظاهرة من ظواهر اللغة ويسميها قياسية .

وظل فهم القدماء للقياس اللغوي على هذا النحو حتى فرغ هؤلاء العلماء من تأسيس معظم القواعد العامة التي خضعت لها نصوص العرب . ثم بدا لهم بعد ذلك أن مظاهر الحياة في القرنين الثالث والرابع من الهجرة تتطلب تنمية ألفاظ اللغة ، باستحداث الجديد منها ، مما لم يُسمع عن العرب ، ولم يرد في

---

(١) بحث ألقاه الدكتور إبراهيم أنيس عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثلاثين لمؤتمر المجمع (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) . وقد أبدى الأستاذ الفاضل ارتياحاً لنشر دراسته الثمينة هذه في مجلة مجمعنا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نصوصهم ، لسد النقص الذي أحسوا به حينئذ ؛ فثارت بينهم قضية القياس اللغوي بمعنى جديد لم يخطر في ذهن المتقدمين ، وهو استنباط ألفاظ أو صيغ جديدة لم تُسمع عن العرب على أساس ما سُمع عنهم . وهذا هو المعنى الذي عناه أبو علي الفارسي في كلمته المشهورة « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » ، وهو أيضاً ما يثير اهتمام مجمعنا الموقر منذ انشائه .

وكانت سياسة المجمع في قراراته السابقة الاعتماد على أقوال القدماء من العلماء وحدها ؛ فحين وجد الحاجة ملحة الى ألفاظ جديدة ورأى من القدماء من يقول بقياسيتها اكتفى المجمع بهذا وقرر قياسيتها . على أن المجمع في النادر من الأحيان كان يستأنس بما يكثر دورانه على الألسنة الآن ، ورغبة المتكلمين من أبناء العرب في العصر الحديث في اشتقاق تلك الألفاظ الجديدة التي لم ترد في نصوص العرب القدماء . وتلك في رأيي نظرة سديدة موفقة كنت أود لو راعاها المجمع في كل الحالات .

ومما عرض له المجمع في دوراته السابقة صيغة « فَعَّال » للمبالغة فاتخذ في شأنها القرار التالي : « يصاغ فَعَّال للمبالغة ، من مصدر الفعل الثلاثي اللازم والمتعدي » . وظل أستاذنا المرحوم الشيخ الخضر حسين لهذا القرار [1] ببحث قيم ختمه بقوله : (ثم وقفنا على عبارة لأبي اسحاق الشاطبي في شرح الخلاصة تدل على أن بناء صيغ المبالغة مقيس ، وظاهر اطلاقها أن هذه الصيغ « فَعّال ، مِفْعال ، فَعُول ، فَعِيل ، فَعِل » مقيسة في المتعدي واللازم) .

وساق الباحث نحو ٨٩ مثلاً لصيغة « فَعَّال من اللازم » .

ويبدو أن المجمع حين آثر صيغة « فعّال » من بين صيغ المبالغة بهذا القرار قد لحظ كثرة دورانها على ألسنة المتكلمين للدلالة على النسبة الى شيء أو

(١) مجلة المجمع جـ ٢ ص ٥٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للدلالة على المبالغة . ذلك لأن المتكلمين بالعربية الآن ، بل حتى الأدباء منهم ، يكادون ينصرفون عن صيغتي « مِفْعال وفَعُول » برغم أنهما قياسيتان أيضاً في رأي جمهور العلماء .

والذي قد يبعث على الحيرة هو التسوية بين هاتين الصيغتين في فكرة القياسية برغم أن ما ورد من أمثلة « فَعُول » في المعاجم العربية يكاد يبلغ ثلاثة أمثال ما ورد فيها من صيغة « مِفْعال » . ففي إحصاء سريع من قاموس الفيروزاباذي تبين لنا أن عدد أمثلة « فعول » ٣٧٩ على حين أن عدد أمثلة « مفعال » ١٤٧ .

ويبدو أن بعض القدماء لم يعتمدوا على عدد الأمثلة وحده في تأسيس فكرة القياسية ، فمنهم من ينص على أنه ليس من شرط المقيس عليه الكثرة ، فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس ، ويمتنع على الكثير لمخالفته له ! ! هكذا يقول ابن جني في الخصائص ويمثل للنوع الأول « بشَنُوءة شَنَئي » فهو المثل الوحيد الذي ورد عن العرب ، ومع ذلك يمكن أن يقال « رَكوبة ركبي » ولا يقاس على مثل ثَقيف ثَقَفي ، قُرَيش قُرَشي ، برغم أن ما ورد عن العرب من أشباه هذين المثلين أكثر مما ورد عنهم من مثل شنوءة شنئي .

والذي أراه بعد ما تقدم جديراً بمجمعنا الموقر أن يأخذ في الاعتبار للحكم على قياسية احدى الصيغ أموراً ثلاثة :

١ — آراء العلماء القدماء بصدد هذه الصيغة ولكن دون الاعتماد على هذه الآراء وحدها .

٢ — إحصاء ما جاء في المعاجم من أمثلة هذه الصيغة للوقوف على نسبة شيوعها في نصوص اللغة .

٣ — مقدار ميل المتكلمين والكتاب لهذه الصيغة في العصر الحديث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي ضوء هذه الأمور الثلاثة مجتمعةً خطر لي أن أبحث صيغة « فِعّيل » كشريب وسكير ، وهي التي أحس أنها تعبر عن المبالغة أكثر من الصيغ الأخرى ، فرأيت البدء بعرض سريع لما جاء في المشهور من كتب النحو والصرف بصدد صيغ المبالغة[1] . وتبين لي أن هذه الكتب لا تكاد تعنى الا بعمل صيغ المبالغة عمل اسم الفاعل ، وفي هذا يختلف البصريون مع الكوفيين ، فيقول البصريون انها تعمل بالشروط المطلوبة في اسم الفاعل ، ويسوقون شواهد لهذا نقلوا معظمها عن سيبويه ، وتتردد هذه الشواهد في كتبهم جيلاً بعد جيل .

أما موقف الكوفيين ازاء هذه الشواهد فهو أن ما صح منها يحمل على تقدير فعل . ففي مثل قول القائل :

ضروب بنصل السيف سوق سمانها اذا عدموا زاداً فانك عاقر

أي يضرب سوق سمانها .

فعناية النحاة قد اتجهت جلها الى عمل صيغ المبالغة ، مما أوحى الى بعض الدارسين أن هذه الصيغ تصاغ من الفعل المتعدي وحده . وفي الحق أنها تجيء من المتعدي واللازم كما أشار أبو اسحاق الشاطبي وكما برهن على هذا الشيخ الخضر حسين في بحثه .

ولا نكاد نجد في كلام القدماء ما يشير بدقة الى نسبة شيوع صيغ المبالغة إلا ما جاء في شرح التصريح من قوله (فَعّال أو فَعُول أو مِفْعال بكثرة ، وفَعِيل أو فَعِل بقلة) . ويعلقون على هذا النص بقولهم (صريح كلامه أن القلة والكثرة بحسب التحويل من اسم الفاعل) . ويفهم من هذا أن الصيغ

---

(١) الكتاب لسيبويه ج ١ ص ٥٦ ، شرح التصريح ج ٢ ص ٦٧ ، شرح الكافية ج ٢ ص ٢٠٢ ، همع الهوامع ج ٢ ص ٩٦ ، شرح الشافية ج ٢ ص ٨٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الثلاث الأولى أكثر شيوعاً من الصيغتين الأخريين ، وأن عدد ما ورد من أمثلة « مفعال ، فعول » ، وتلك هي الكثرة التي يعوزها التحديد ، فقد وضع من احصائنا لأمثلة الفيروزاباذي أن عدد « مفعال » ، ثلث عدد « فعول » .

كذلك لا يكادون يعرضون الى نسبة المبالغة في هذه الصيغ الخمس إلا ما جاء في همع الهوامع من قوله (وادعى ابن طلحة تفاوتها في المبالغة ، أيضاً ، ففعول لمن كثر منه الفعل ، وفعّال لمن صار له كالصناعة ، ومفعال لمن صار له كالآلة ، وفَعِيل لمن صار له كالطبيعة ، وفَعِل لمن صار له كالعادة) .

هذا هو موجز ما نجده في كتب القدماء بصدد الصيغ المشهورة للمبالغة . على أننا نجدهم يشيرون أيضاً الى بعض الصيغ الأخرى التي تدل على المبالغة ويصفونها بأنها سماعية ، ومنها صيغة « فِعّيل » كشريب وسكير . فيقول ابن قتيبة في أدب الكاتب (ما كان على « فِعّيل » ، فهو مكسور الأول ... وهو لمن دام منه الفعل)[1] . ثم يسوق عدداً من الأمثلة ، ويعقب عليها بقوله : (ومثل ذلك كثير ولا يقال لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة) .

ويقول ابن السكيت في إصلاح المنطق[2] : إن « فِعّيل » تدل على المبالغة ، فالسكير الكثير السكر ، والفسيق الكثير الفسق . ويورد أيضاً عدداً من الأمثلة ، معظمها يشترك مع ما أورده ابن قتيبة .

ثم جاء بعدهما أبو ابراهيم الفارابي في ديوان الأدب وساق لهذه الصيغة نحو ١٧ مثلاً : والذي يسترعي الانتباه في كتب القدماء قول ابن قتيبة « فهو

---

(١) ص ٣٢٤ .

(٢) ص ٢١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مكسور الأول» مما يشعر أن ابن قتيبة ربما سمع بعض المتكلمين في عهده ينطقون بها بغير كسر الحرف الأول . وأغلب الظن أنه سمعها بفتح الأول كما لا تزال نسمعها الآن في أفواه المتكلمين . كذلك يسترعي انتباهنا قول ابن دريد في الجمهرة [1] : (إعلم أنه ليس لمولّد أن يبني فِعّيلًا الا ما بنت العرب وتكلمت به ، ولو أجيز ذلك لقلب أكثر الكلام ، فلا تلتفت الى ما جاء على « فعّيل » مما لم نسمعه إلا أن يجيء به شعر فصيح) .

وليس من الإسراف أن نستنبط من نص ابن دريد والحاحه على سماعية هذه الصيغة ، وتحذيره المولدين من اشتقاق كلمات جديدة منها أنه سمعها تجري على ألسنة الكثيرين في عهده ، وأنهم اشتقوها في كلمات لم تُرو عن العرب ، أي إن هذه الصيغة كانت محبوبة مأنوسة بين الناس في عهده يؤثرونهـا باشتقاق كلمات جديدة منها ، وينطقون بها مفتوحة الأول في أغلب الظن . وهذه هي الظاهرة التي لا تزال سائدة بيننا الآن ولا سيما على ألسنة الشباب أولئك الذين اشتهروا في كل البيئات اللغوية بميلهم الى المبالغة في دلالات الألفاظ وايثارهم ما يعبر عنها من الصيغ .

وقد أمكن لنا في إحصاء سريع أن نجمع من معجم لسان العرب ومحيط الفيروزاباذي نحو ٧١ مثلاً رويت عن العرب القدماء هي :

صِدّيق ، صِرّيع ، شِريب ، قِليب ، (به داء وتعب) خِربت ، بِريت (دليل حاذق) ، بِليت (عاقل لبيب) ، صِميت ، فسيق ، زميت ، عِميت ، (الرقيب الظريف) ، سِكيت ، حديث ، خبيث ، عبيث ، عنين ، خريج ، ضليل ، مريخ (أحمق) ، مديخ (عظيم عزيز) ، مريح (كثير المرح) ، شرير ،

(١) ج ٣ ص ٣٧٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غريد ، سكير ، مريد (طاغية) ، جبير ، جزير (كثير الذبح) ، ختير (غادر) ، سمير ، شخير ، شغير ، شنير (سيء الخلق) ، شمير (مجتهد) ، ظفير ، غدير ، فكير (كثير التفكر) ، اريس (أكار أو أمير) ، دعيس ، (ماهر في الطعن) ، رديس (ماهر الرمي بالحجارة) ، قسيس ، نطيس (طبيب ماهر) ، عقيص (بخيل) ، عريض (يتعرض للناس بالشر) ، فقيع (شديد البياض) ، ثقيف (حاذق فطن) ، خريق (سخي ظريف) ، عشيق ، شنيق (شديد الإعجاب بنفسه) ، طليق ، مسيك (بخيل) ، سجين (دائم شديد) ، ظليم ، قديم (الملك أو من يتقدم الناس) ، زبين (مدافع للأخبثين) ، سخين (حار) ، طعين (حاذق في الطعن) ، المسيح (الدجال لشؤمه) ، ظليم ، فخير ، حريف ، خمير ، هزيل ، متيخ (وصف للعود الطويل اللين) ، لطيخ (أحمق) ، شنير (سيء الخلق) ، رئبس (كثير الرياسة) ، طلبس (أعمى) ، زريع (ما ينبت في الأرض المستحيلة) ، القريع (السيد) ، طريق (كثير الطروق) ، غسيل (أكثر الضراب) .

وكلها تفيد المبالغة في الفعل . وورد أيضاً في اللسان والمحيط نحو ٣٠ مثلاً من هذه الصيغة تعبر عن أسماء لأشياء ولعلها كانت في وقت من الأوقات صفات فهي :

سجّيل (حجارة) ، كليت (حجر يسد به) ، جريت ، قريت ، زمير ، جنبس (نوع من السمك) ، بطيخ ، دريج (الطنبور) ، ذريح (دويبة) ، خريع (شجر العصفر) ، عقير (عشبة يتداوى بها) طبيع (لب الطلع) ، عريس (مأوى الأسد) ، فطيس (مطرقة) ، القليد (الخزانة) ، القمبس (البحر) ، ابيل (قطعة من الطير) ، الزيل (القفة) ، التنين (الحية العظيمة) ، القنين (الطنبور) .

أي أن ما ورد عن العرب القدماء من هذه الصيغة ليس من القلة على الصورة التي نلحظها في كلام علماء اللغة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما رجعنا الى اللغات السامية شقيقات اللغة العربية لنستأنس بها في أمر هذه الصيغة تبين لنا أنها كثيرة الشيوع في الآرامية ، على حين أن العبرية لا تستعمل منها الا عدداً قليلاً جداً ، وأنها في كلتا اللغتين مفتوحة الحرف الأول ، مثل : (وهنا ذكر الأستاذ الفاضل أمثلة بالآرامية والعبرية تدل على ورود هذا الوزن فيهما ، وعلى شيوعه في الآرامية الغربية ، وعلى اقتباس العبرية منها بعض كلمات) ، ثم قال :

ليس من المغالاة اذن أن نقرر أن هذه الصيغة « فعّيل » سامية أصيلة ، وأنها انحدرت الى اللغات السامية من السامية الأم ، فتطورت في بعضها وبقيت على حالها في اللغة الآرامية . ففي العبرية أطيلت حركة الحرف الأول عوضاً عن التشديد في الحرف الثاني خضوعاً للظاهرة الصوتية التي نسميها بالمخالفة ويسميها الأوربيون « Dissimination » ، وفي العربية كسر الحرف الأول اتباعاً لحركة ما بعده وخضوعاً لقانون انسجام الحركات المتجاورة أو ما يسمى « Vowel harmony » وهكذا جاءت صيغة فِعّيل العربية ومع هذا قد احتفظت ألسنة بعض المتكلمين بالعربية في كلامهم الدارج بالصورة الأصلية وهي المفتوحة الحرف الأول ولا تزال جارية على ألسنتهم ، وأمكن لنا أن نجمع نحو ٥٠ مثلاً اشتقها الشباب في مصر في كلمات لم ترد بالمعاجم ولم تسمع عن العرب ، وأشهر هذه الكلمات :

أكتيل ، تمّيع ، حبيب ، حسيب ، ركيب ، رصيم ، سهير ، كسيب ، نويم ، عويم ، لعيب ، لبيس ، طبيع ، جميع ، فهيم .

أما موقف هذه الصيغة في البلاد العربية الأخرى فقد استفسرت من بعض أبنائنا عنها ، وتبين لي أنها شائعة أيضاً في السودان ولكن مع كسر الحرف الأول أي كالعربية الفصيحة مثل :

ضِعنيك ، زِعّيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك الشأن في ليبيا أي بكسر الحرف الأول مثل :

شِقّيق (بمعنى رطب يشق لينزع بذره) ، حمير (لطائر شديد حمرة الرأس) .

أما في سورية وفلسطين ولبنان فيبدو أن هذه الصيغة شائعة أيضاً ويُنطق بها كالمصريين أي مع فتح الحرف الأول مثل :

طَخّيخ (بمعنى ماهر في الزمابة) بَصّيم ، (لمن يحفظ كثيراً دون فهم) ، دهين (لمبيض الزيت) ، طريش (لمبيض الجير) ، و ...

ويبدو ممن أتيحت لي فرصة سؤالهم أن هذه الصيغة لا تكاد توجد في الكلام الدارج لأهل المغرب أو تونس أو الجزائر ، ولا في السعودية واليمن . أما العراق والأردن فلم أصادف من أبنائها من يدلني على أمر هذه الصيغة هناك .

وعلى كل حال يبدو من هذا الاستقراء على ضيق مجاله وكسوره أن هذه الصيغة تشيع على النحو المألوف في مصر في المنطقة التي انتشرت فيها الآرامية الغربية تلك اللغة التي احتفظت وحدها بالصورة الأصلية وهي « فَعّيل » مع فتح الحرف الأول .

أما بعد ، فاذا صح رجحان هذا الرأي فهل يكون من الشطط أن ندعو المجمع اللغوي الى أن يرد الى هذه الصيغة اعتبارها وأن يحكم على قياسيتها حتى نستطيع اشتقاقها في كلمات لم ترد في المعاجم العربية ، أو على الأقل نعترف ببعض ما اشتق منها فعلاً ويجري على ألسنتنا ؟ وسيان عندي أن نجعلها مفتوحة الحرف الأول أو مكسورته [1] .

الدكتور ابراهيم أنيس

(١) عندما انتهى الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس من إلقاء هذا البحث المفيد علق عليه الأمير مصطفى الشهابي رئيس تحمنا الذي شارك في أعمال المؤتمر بقوله : إن معظم الكلمات التي أشار المحاضر الفاضل الى استعمالها في مصر مثل أكّيل وسمّيع الخ . تستعمل أيضاً في كلام السوريين الجاري على الألسنة وهي مفتوحة الأول . وقد أحيل البحث الى لجنة الأصول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net